شأن داخليائكم وكونوا مع العصر يوما بيوم في الآلات الحربية وغيرها والا كان الاتحاد قليل الجدوى فسأل الله الهداية الى اقوم سبيل «لا . ي»

﴿ ملاحظة المنار ﴾

يدور كلام الفاضل الهندي على ستة أقطاب «١» بيان خطر الحال الحاضرة «٢» ذكر ان سببها الجهل والخمول «٣» ذكر ما اقترحه بعض الكتاب (صاحب رسالة نشرت في جريدة محمدان بامضاء الباحث الاسلامي من تأسيس جمعية إسلامية في الاستانة العلية للنظر في تأخر المسلمين وفي وسائل تقدمهم والسؤال كيف قوبلت في البلاد الاسلامية «٤» الجزم بأن البلاد الاسلامية لا يرتفع لها شأن الا اذا شارك الافراد الحكومات فيما تجريه . يريد ان يكون للأمة رأى في أعمال الحكومة الكلية كالحكومات الشورية الحية «٥» العمل أولا على ترقية شأن المجموع بترجمة جميع مباحث العلوم العصرية وفروعها الى لغاتنا والعناية بالصناعات والادارة التي رفعت درجات العالم الاوربي وحريته الخطابة والكتابة «٦» استعانة الامم الاسلامية بعضها ببعض بان تستبدل دولة الفرس الضباط العثمانيين بالضباط الروسيين وتستعين بالمعلمين من مسلمي الهند على نشر التعليم العصري

ما احسن هذا البيت المسدس الاركان لو وجد له صناع يبنونه ويملؤنه من عسل المدنية الفاضلة أو يودعون فيه نتائج السجايا الانسانية كما يبني النحل بيته المسدس ليودع فيه تاجه ثم موئته من العسل، النحل ينبعث للتعاون على عمله الذي تتوقف عليه حياة نوعه بحادي الالهام الفطري، وفطرته سليمة لا يطرأ عليها فساد ولا انقلاب والانسان فطر على التنازع والخلاف وأعطي قوة على تعديل فطرته الروحية، واجابة داعي العقل الى الوفاق والاتحاد برابطة الدين أو الجنسية أو الوطنية ، فاذا انحلت الرابطة بما يعرض على الروابط الاجتماعية فيحلها فلا بد من العمل قبل كل شيء على عقدها ومع كل شيء على حفظها وتقويتها والمسلمون لا تجمعهم الا رابطة الدين كما قلنا غير مرة وقد انحلت بالتراخي وكادت تبطل بالمرة، فليس أول عمل يجب علينا هو ترجمة العلوم العصرية الى لغاتنا كما قال الكاتب بل اول عمل يجب علينا هو ما قلناه آنفا

من اعادة الرابطة الدينية التي تجمع القلوب وتوحد بين الشعوب

لا خلاف في أن الشعوب الاسلامية في أسوإ الاحوال وانه مامن أمة من الامم ولا ملة من الملل الا وفيها من أخذ من ترقي العصر بأوفر نصيب الا الامة الاسلامية . الوثنيون لهم دولة قوية جارت أوربا وسايرتها خطوة بخطوة وضربت معها بكل سهم وهي الآن أعز دولة شرقية وأقواها ألا وهي (اليابان) . اليهود سابقوا أوربا في جميع أنواع الكسب باسبابه ووسائله فسبقوها وهي الآن تتبرم منهم وتضطهدهم في كل مكان ، فاذا كان في الشرق روح خبيث يحول دون الترقي كما يتوهم المتوهمون فلماذا لم يلابس هذا الروح غير المسلمين ؟ أليس اليابان واليهود من الشرقيين ؟ اذا كان النجاح متوقفا على أعمال الحكومة فأية حكومة نهضت بالاسرائيليين ؟ . أجمع الباحثون في علم الاجتماع على أن تأخر المسلمين ماجاءهم من اختلاف طبائع الاقطار فانهم يسكنون كل أرض ومتبوؤن كل قطر فمن بلادهم الحار والبارد والمعتدل وانما كل البلاء جاءهم من دينهم فما داموا على هذا الدين لا يرفع لهم علم ولا تقوم لهم سيادة ولا يستنشقون نسيم السعادة بل لابد أن ينزع منهم دينهم كل سلطة ويهبط بهم الى أسفل سافلين ، وهذه حوادث الدهر بهم شاهدة بذلك: تنتقص بلادهم من أطرافها وتنزع من أيديهم ولاية بعد ولاية بل مملكة في أثر مملكة وما بعد العيان من برهان ، قالوا ومن زعم ان لذلك سببا غير الدين ، فليخبرنا عن ميزة آخر انفردوا به عن جميع العالمين ؟

بينا في غير هذا العدد من جريدتنا أن هذا القول صحيح ولكن الذي رمانا ويرمينا بالنوائب هو الابتداع في الدين لا الاتباع له والانحراف عن سننه (بالفتح) لا الاخذ بسننه (بالضم) وترك آدابه ، لا التمسك بأسبابه ، وهذه حقيقة لا ينكرها أحد من علماء المسلمين ولا من عامتهم فهم متفقون مع الأوربيين في أن بلاءهم من الدين ولكنهم مختلفون في التوجيه والتأويل

العلم الاجمالي لا يبعث على العمل ، ولا يرشد من الغي والزلل ، لأنه محل للتأويل والاختلاف في البيان ولذلك لم ينهض المسلمون للاصلاح الديني مع علمهم الاجمالي بأنهم في أشد الحاجة الى الاصلاح ، ولماذا ؟ العلماء يلقون التبعة على الحكام قائلين

انهم هم الذين أفسدوا في الدين بحكمهم بالقوانين وتقليدهم الافرنج في نظاماتهم العلمية والعملية والعادية كاللوس ونحوه ، والحكام ينحون باللوم على العلماء ويقولون اننا لم نجد عندهم غناء عن القوانين والنظامات التي أخذنا بها وان النظامات العلمية والعملية التي قلدنا بها أوربا قد ارتقت بنا ورفعتنا على سائر الحكومات الاسلامية التي لم تأخذ بها كحكومة مراكش وسائر الحكومات الأفريقية . وقد ضاعت الامة بين الفريقين (الحكام والعلماء)

ليس الحكم بالقوانين هو الذي هبط بالمسلمين الى هذا الحضيض فلقد بذرت بذور الهبوط في العصر الاول وذلك ما عناه الامام علي كرم الله تعالى وجهه بقوله لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا . ولقد حدثت الفتن في المسلمين ولم يكن هناك شيء من هذه القوانين فروح الدين الذي ينهض بالامم ويحييها بل يوجدها من العدم هو الاتفاق في العقائد الحقيقية والآداب الصحيحة وقد تزعزع هذان الركنان في المسلمين فالتوحيد الذي اجتث الاسلام به شجرة الشرك الخبيثة واستأصل جراثيم الوثنية وأطلق ارادة الانسان وافتك عزيمته من قيودها فنال بذلك الحرية الكاملة واندفع لكل عمل مفيد قد صبغ بصبغة الجبر وجعل آلة لإضعاف الهمم ، وتكسيل النفوس عن العمل ، ولم يق المسلمين من نزغات الوثنية فقد تمكنت نزغاتها في كثير منهم حتى انهم ألهوا الامام عليا في عصره ، ولا تسل عما جرى بعد ذلك الى اليوم ، وهذا الموضوع طويل الذيل يحتاج في بيانه الى مؤلفات وقد أوقفنا عليه جريدتنا فكتبنا وسنكتب فيه الى ما شاء الله تعالى

أما ما أشار اليه الفاضل الهندي من تأسيس جمعية اسلامية فأول من اقترح هذا الاقتراح السيد جمال الدين الفيلسوف الشهير وقد بسطنا الكلام عليه في مقالتي « الاصلاح الديني » في العددين الماضيين على الوجه القريب من الصواب والامل بحصوله ضعيف جدا . وأما جزمه بأن البلاد الاسلامية لا يرتفع لها شأن الا اذا شارك الافراد فيها الحكومات الخ فهو من الكماليات ولا يتوقف عليه الاصلاح المطلوب وطلبه اليوم هو من طلب الغاية في البداية(*) ، وأما استعانة الامم الاسلامية بعضها ببعض

*) هذا هو تفسير قولنا من الكماليات ولم نعن بالكماليات مايقابل الضروريات

فهو حسن لا ريب فيه. وأما العمل على ترقية مجموع الأمة بالعلوم العصرية والصناعات فلم نأخذ عليه فيه الا قوله ان ذلك يجب علينا أولا ورجال الدين يقولون ان تلك العلوم كفر اوطريق للكفر ومجموع الامة تبع لهم . فالذي ينبغي قبل كل شيء اقناع هؤلاء بأن هذه العلوم والفنون تتوقف عليها قوة الامة ومجدها وان القرآن أرشد اليها بما أمر من النظر والتفكر وبمثل قوله « هو الذي خلق لكم في الارض جميعا » وقوله « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه »

كيف يتسنى لنا نشر هذه العلوم قبل هذا وقد سعى بعض عقلاء العلماء بادخال علم الحساب وتقويم البلدان وتاريخ الاسلام في الازهر فاضطربت لذلك الافكار واختلفت الظنون وقال الاغرار (واكثرنا اغرار) ان الازهر قد فسدت بذلك تعاليمه وأصبح الدين على وشك الاضمحلال والزوال . لم يكن للازهر نظام يرجع اليه فبعد ان وضع له النظام وقبل أن يجري فيه أقل انتظام وقعت فيه الحادثة المشهورة التي سببها الحقيقي الخلل وفساد الاخلاق والجهل بأمور الزمان فقال بعض اللابسين لباس العلماء « ان وجود النظام في الازهر هو الذي أجرى عليه أحكام النظام وان الازهر قوامه بالبركة التي جرى عليها أربابه من قبل فكل تغيير فيه لا يكون الا افسادا له »

فلينظر القائلون بأن اعادة مجد الاسلام تكون بنشر الفنون العصرية في الامة الاسلامية الى أوربا التي يرومون أن يقلدوها في نهايتها وهم بدايتهم هل تسنى لها الاخذ بهذه الفنون الا بعد الإصلاح الديني وازالة تلك العقبات التي كانت تعد العلم والصناعات كفرا وتضطهد المشتغلين بهما أشد الاضطهاد ؟ أكرر القول بأن الاصلاح الديني هو المطلوب قبل كل شيء ومع كل شيء ولدينا مقالة في ذلك من قلم أعلم حكماء الامة في هذا العصر ننشرها في العدد الآتي ان شاء الله تعالى (١)

﴿ عالم قريش الامام محمد بن ادريس الشافعي ﴾

« رضي الله تعالى عنه »

نذكر شيئا من سيرة هذا الامام الجليل بمناسبة احتفال العلماء في هذه الايام

والحاجيات بل عينا ان هذا مما يكون للأمة اذا ارتقت في معارج الكمال الاجتماعي فهو غاية لا بداية (١) اعدنا نشر هذه المقالة في ص ٦٦٤ من المجلد التاسع فتطلب منه